باب التوبة مفتوح ولله الحمد

ـ من رحمة الله تعالى وعظيم لطفه بعباده ، أن فتح لهم باب التوبة :

ـ فقد قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ ﴾ [١] .

ـ وقال تعالى : ﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [٢] .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [٣] .

ـ هذا : وللتوبة شروط :

ـ فالتوبة من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاث أشياء :

ـ أولاً : أن يقلع عن المعصية في الحال .

---

[١] سورة الشورى : آية : ٢٥ .

[٢] سورة الفرقان : آية : ٧٠ .

[٣] سورة طه : آية : ٨٢ .

obeikandl.com

ـ ثانياً : أن يندم على فعلها .

ـ ثالثاً : أن يعزم ألا يعود إليها .

ـ والتوبة من حقوق الآدميين : يشترط فيها هذه الثلاثة .

ـ ورابع : أن يبرأ من حق صاحبها .

ـ فإن كان مالاً أو نحوه : رده إليه ، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه .

ـ وإن كان غيبة ، فقد اختلف العلماء في توبة المغتاب :

ـ هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه ؟

ـ قال بعضهم : لا يجوز ما لم يستحل من صاحبه [1] .

ـ وقال بعضهم : يجوز .

ـ وفيه وجهان :

ـ إن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه فاستحله ، وأظهر له

---

[1] الذين قالوا : لابد أن يستحل من صاحبه ، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية ، والفرق بينهما ظاهر ، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه ، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها .

وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ فإنه يشتغل قلبه ، ويوغر عليه صدره ، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه ، فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به ، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكميلها ، والله أعلم .

الندم على فعله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ " [1] .

ـ أما إن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل : جعل مكان استحلاله الاستغفار ، والدعاء له والثناء عليه بما فيه من خير أمام من اغتابه أمامهم لإصلاح قلوبهم ، ولا يخبر صاحبه فهو أحسن لكيلا يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به ، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبداً .

ـ هذا : وعلى المغتاب : أن يستغفر الله تعالى ، ويتوب إليه ويعزم ألا يعود إليها ، ومن أصر عليها ، ولم يجتنبها ، فقد عصي الله ورسوله ، واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ [2] .

---

[1] أخرجه البخاري .

[2] سورة النساء : آية : ١٤ .

ـ فهلم أخي الكريم إلى التوبة ، فباب التوبة مفتوح ولله الحمد :

ـ فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " (١) .

ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (١٣٥) **أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ (٢) " (٣) .

ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " (٤) .

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١٣٥ : ١٣٦ .

(٣) أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٤) أخرجه الترمذي .

ـ وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ " [1] .

ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، ثُمَّ قَالَ : أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ " [2] .

ـ وَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ : لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ [3] خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي

---

[1] أخرجه ابن ماجة وإسناده حسن .

[2] أخرجه البخاري ومسلم .

[3] قراب الأرض : أي ما يقارب ملئها .

لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " [1] .

ــ فانظر أخي الكريم إلى سعة رحمة الله تعالى بعباده : وأن العبد إذا كان يدعو الله سبحانه وتعالى ويرجوه غفر له ، وأنه إذا تاب إلى الله واستغفر بعد استكثاره من الذنوب ، وبلوغها إلى حد لا يمكن حصره ، ولا الوقوف على قدره غفرها له .

ــ **ومثال ذلك** : ولله المثل الأعلى ، هب أنك أسأت يوماً إلى أحد من الناس ثم أتيته نادماً واعتذرت له لأنك أخطأت في حقه وهو لا يستحق أن تسئ إليه فإنه يرق قلبه ويصفح عنك ، فما بالك يا أخي برب العالمين ، وأرحم الراحمين العفو الغفور ، فهو الذي يغفر ولا يبالي ، ويعطي بغير حساب .

ــ فهلم إلى سعة رحمة الله ، وإياك أن يمنعك من التوبة أخطاء حملت همها ، وذنوب تثاقلتها ، وهل هناك يا أخي ذنب أعظم من الكفر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [2] . فما ظنك بما دونه .

---

[1] أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن .

[2] سورة الأنفال : آية : ٣٨ .

فتب وعد إلى مولاك ، وأبشر فربك قد ناداك ، فقال سبحانه :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [1] .

***

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله ، وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

---

[1] سورة الزمر : آية : ٥٣ .

obeikandl.com